صورة الرسول محمد "ص" في شعر السيد محمد حسين فضل الله

م.د. حوراء عزيز عليوي

الاختصاص : دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها / الأدب الحديث

مكان العمل : جامعة القاسم الخضراء/ كلية هندسة الموارد المائية

The image of the messenger Muhammad (phuh) in the poetry of sayyid Muhammad Hussein fadl allah

Hawraa aziz oleiwi

Workplace: al qasim green university / college of water resources engineering

Jurisdiction:phd in Arabic language and literature/modern literature

hawraaalkaim@gmail.com

Abstract

Our stady deals with the personality of the prophet (pbuh) and its manifestations in the poetry of mr. Muhammad Hussein fadlullah , this world- renowned religious poet drew a unique image of the prophet Muhammad, inspired by the koran, the rhythm of the hair has a musical aspect that makes the receiver respond to that image and tune with it, being fiying in a welcoming space and making him swim in the midst of spiritual words and penetrate himself in tune with a quiet rhythm that leads him to compare the reality experienced by the prophet and the reality he is living at present, this image, including the spiritual, on the one hand, it suggests to us when reading that the master is not the poet is the one who enjoys the emotional connection, but shared with the recipient, but shre it with the recipient, how finds himself in a poetry prayer in which the words of sublime leading to the name of thought and embodied in the niche of divine love filled with the inspiration of the word.

The language of poetry itself is a language that permeates the soul of the recipient and touches the very essence of his soul, so we find the union of the language of poetry with the religious pattern, giving us a unique, and forget to say that the poet took from the prophet means to stimulate the conscience of the recipient to make it revolts against the reality almeries living in its shadow and change from the same and the other to reflect the image on the reality that requires renewal and change.

Keywords: sensory image, mental image, avatar, icon picture, antibody diodes, the real picture.

الملخص :

تتناول دراستنا شخصية الرسول "ص" وتجلياتها في شعر السيد محمد حسين فضل الله، فقد رسم هذا الشاعر العالم الديني الجليل صورة فريدة للرسول محمد "ص" مستوحاة من القرآن الكريم، وكان لإيقاع الشعر لديه جانباً موسيقياً يجعل المتلقي يستجيب لتلك الصورة ويتناغم معها، كونها تحلّق به في فضاءٍ رحب وتجعله يسبح في غمار الكلمات الروحانية وتتغلغل إلى نفسه منسابة بإيقاع هادئ مفضية به إلى المقارنة بين الواقع الذي عاشه الرسول "ص" والواقع الذي يعيشه في الوقت الحاضر، وهذه الصورة بما فيها من روحانية من جهة، فهي توحي لنا عند قراءتها أن ليس الشاعر هو من يستمتع بذلك الاتصال الوجداني، وإنَّما يشاركه في ذلك المتلقي الذي يجد نفسه في صلاة شعرية يرتل فيها كلمات سامية تقوده إلى سما الفكر ويتجسد في محرابها العشق الالهي المفعم بأريج وحي الكلمة.

ولغة الشعر بحد ذاتها هي لغة تتغلغل في وجدان المتلقي وتمس صميم روحه، لذا نجد اتحاد لغة الشعر مع النسق الديني يقدّم لنا صورة فريدة من نوعها، ولا ننسى القول إنّ الشاعر اتخذ من الرسول "ص" وسيلة لاستثارة وجدان المتلقي ليجعله يثور على الواقع المزري الذي يعيش في ظله ويغير من ذاته والآخر لتنعكس الصورة على الواقع الذي يتطلب التجديد والتغيير.

الكلمات المفتاحية : الصورة الحسية، الصورة الذهنية، الصورة الرمزية، الثنائيات الضدية.

المقدمة :

تبوأت الصورة الشعرية مكانة مهمة في المناهج النقدية الحديثة كونها تعبر عن مكامن الابداع وخصب الخيال الشعري عند الشاعر وقدرته على تقريب الاشياء المتباعدة وتشكيل معانٍ جديدة ذات مضامين لها قيمة " فنية. إنسانية توازن بين المتعة الفنية أو الاثارة، وتجارب الحياة وقضايا الفكر المتبلور بمسارب شتى ومواقف مختلفة"[1912](1).

والصورة الشعرية التي نحن بصدد دراستها تتناول شخصية عظيمة في العالم لها أثر في تاريخ البشرية؛ لما تركته من معالم غيّرت صفحة مظلمة من التاريخ وشطبت معالم الجهل والتخلف لتحيل الفضاء المكاني والزماني عشقاً وطُهْراً ورحمةً للعالمين، وتقلع الظلم ليحلَّ محلّه العدل والإخاء، واخترنا شعر السيد محمد حسين فضل الله الذي حلّقَ بنا في سماء

الشعر النبوي،بما عُرِفَ عنه شعره من روحانية تمس صميم الوجدان لأنها تخاطب فيه عاطفة عميقة ورؤيا النور في قلب المتلقي لتهزَّ فيه يقظة الروح لتسلك طريق العودة الى درب المصطفى "صلى الله عليه وآله".

ونذكّر أنَّ الشاعر يشعل في نفس المتلقي صورة وهّاجة ويُلقي في روعه مقارنة بين الماضي والحاضر الذي ابتعد فيه المسلمون عن الطريق السالك الى درب الله، فاستوحش الطريق لقلة سالكيه.

وقد أوضحت بشرى البستاني بصدد حديثها عن مصادر الصورة الشعرية أنَّ الصورة تعد مرآة عاكسة لطبيعة العلاقة بين الذات والموضوع على نحو يعبر عن امتزاج العناصر ويكشف عمّا في ذهن الشاعر والعوامل المؤثرة فيه [1].

الصورة الحسية :

عندما نتحدث عن الصورة الحسية فإنَّنا نقصد بذلك تلك التي يمكن استشعارها بحواسنا وادراك صورتها في الذهن، فهي صورة تستمد وجودها من الواقع المادي وتمس الروح في استشعارها، فالصور الحسية مستمدة من حواس الانسان الخمس (البصر، السمع، الشم، الذوق، اللمس) وكثيراً ما تتعاضد هذه الحواس للتعبير عمّا يعتمل في ذات الشاعر من أحاسيس ومشاعر نفسية، وشاعرنا غني عن التعريف فهو معروفٌ بإيمانه وتقواه وشعره بما فيه من حسية يمس صميم شغاف القلب وينقل المتلقي الى روحانية عند أعتاب الله عزّ وجل، وفيوضات رسول الله وآله الكرام، فهو " يعمد الى توظيف التعابير اللغوية الدالة على الجوانب الحسية، التي لها صلة بكل ما يرى ويسمع ويشم ويلمس ويتذوق، وذلك بهدف إنتاج صور حيوية موحية قابلة للتخيل بطريقة تجعلها تتجسد أمام متلقيها الذي يحس بها ويعيش داخل ذلك المشهد المصور الموصوف"[19132](1).

ونحن بصدد رصد صورة الرسول (ص) في شعر السيد محمد حسين فضل الله، سنلمس من خلال شعره صورة فريدة تقرأ الواقع المعاصر من خلال عقد مقارنة بين منجز الرسول (ص) وما حقّقه المسلمون في الوقت الحاضر بمعنى آخر بين الفتح المبين لرسولهم (ص) وخيبات الحاضر.

ولن نحاول في هذه الدراسة الفصل بين الصور البصرية وغيرها من الصور، وإنَّما سنقدم صورة كلية تظهر فيها اندماج الصور في وحدة فنية عضوية وأثر الرسول(ص) في شخصية الشاعر، وسنحاول من خلال ذلك أن نبين أنَّ الشاعر إبتغى من الشعر تقديم رسالة الى المتلقي من خلال شعره، فالرسول(الرسالة) بما يحمله من معانٍ إنسانية والخير والنصر

[1912] بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994 : 7.

(1) ينظر : بشرى موسى صالح:الصورة الشعرية في تانقد العربي الحديث: 44.

[1913] أحلام زكري: الصورة الحسية في شعر " عيسى لحيح "،رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016 : 19

مخطط توضيحي لرسالة الشاعر

وفق هذه الترسيمة الياكبسونية سيتجلى لنا هدف الشاعر من تقديم شخصية الرسول(ص) كونه يمثل القدوة الذي لا بدَّ للمسلمين الاقتداء به في حياتهم، يقول تعالى في كتابه الكريم: " لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة "[1914].

يقول الشاعر[1915] :

وتَجَلّتْ ذِكراكَ.. فانتفضَ الفجْـــــــــرُ.. وهشَّ الضحى لذكرى الوليدِ
يالَدنيا تسيرُ.. والنورُ يحدو ها.. إلى مَوكبِ السماءِ الجديدِ
أيُّ لحنٍ أثارَ دمدمةَ الـوا دي.. وهزَّ الحياةَ باسمِ الخُلودِ
فإذا كُلُّ زهرةٍ تنفضُ العِطْـــــــــرَ.. لتستافَ من عبيرِ الوجودِ
أنتَ أودعْتَ حقلَها كلَّ رفًّا فٍ منَ الزهرِ مائجٍ بالنشيـدِ
أنتَ أنبتَّ في حقولِ الكراما تِ حياةً خفَّاقةً بالبنـــودِ
أنتَ رنَّحتَ زهوةَ النورِفي أفْ قٍ ترامى بين الأسى والجمودِ
وخلقْتَ التاريخَ في أمةٍ تجْـــــــــري.. وتاريخُها صريعُ الرُّكودِ

تنتفض الصور الحسية وتتعاضد مع بعضها الآخر في رسم صورة فريدة من نوعها، فقد رسم " صورة تتجدد وتعود الى الحياة كلما حضر مثيرها في نفس الشاعر، لتكون الصورة عنده منطبعة في الذات تجد في الطبيعة والمكان ما يماثلها ويشابهها

السيد محمد حسين فضل الله: قصائد للإسلام والحياة، دار الملاك، بيروت، ط2، 1421هـ - 2001م: 59 - 60.

فيتناظر الشعور والمثير في صورة متشابكة "[1916]، ومع وجود الصور الحسية التي تخلق الاحساس بنبض الحياة من خلال (انتفض الفجر، هشَّ الضحى، النور يحدوها، دمدمة الوادي، هزَّ الحياة، تنفض العطر....) التي تثير رؤًى بصرية وسمعية ولمسية وذوقية وشمية لترتقي الى صورٍ روحية منابعها وجود الرسول محمد (ص).

تستوحي الذاكرة صورة الرسول (ص) من الطبيعة الحية التي تشترك مع الشاعر في الاحتفاء بالرسول (ص)، إذ تتحرك موجودات الطبيعة بصور تنبض بالحياة فيشخصها الشاعر للإشارة الى الحياة التي ولَّدها (ص) في الكون فـ (انتفض الفجر) و(هشَّ الضحى) تعد محرك الحياة وشاهد على النور واتساع رقعة الدين الجديد في أرجاء الكون فحيثما حلّ حلّت الحياة، إذ نجد الشاعر يصور الرسول (ص) من خلال المتضايفين بقوله :

يا رسول الحياة نضّر قصيدي بنثارٍ من فجرك المنشود

نستشعر القوة العميقة التي تربط الشاعر بالرسول (ص) فضلاً عن الناس، وهذه صورة تشكلت من خلال إضافة "الرسول" الى "الحياة" فهو كونٌ ألهم الوجود الحياة، أو هو الحياة بحد ذاتها، وهذه الصورة بقدر اتساعها اتساع الحياة الانسانية والكون الذي يعيش فيه الانسان فهي صورة تنبض بالحياة، إذ تتحرك الاشياء بوجوده(ص) وذكراه التي ألهمت الشاعر وحركت فيه معانٍ تستهدف تجسيد صورة الرسول وتقديمها للمتلقي.

[1914] سورة الاحزاب : الآية 21.

[1915] السيد محمد حسين فضل الله: قصائد للإسلام والحياة، دار الملاك، بيروت، ط2، 1421هـ . 2001م: 59 . 60.

[1916] ابتسام دهينة: الصورة الشعرية من التشكيل الجمالي إلى جماليات التخييل، مجلة كلية الاداب واللغات، ع11.10، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010 : 241.

وبالنظر الى هذه الصورة "يا رسول الحياة" قد يتساءل المتلقي أي حياة يقصدها الشاعر، هل هي الحياة الدنيا أم الآخرة؟ أم أنها لفظة عامة يقصد بها الاثنين معاً؟

وبالعودة إلى الأبيات الأولى نفهم أسلوبية الشاعر في تشكيل الصور الحسية التي تتعاضد مع بعضها الآخر لنفهم منها الحياة التي خلقها (ص) في الوجود، إذ بعث أمةً للحياة بعد أن كانت تعاني الموت في جمودها وركودها الفكري، فنشم عطر دينه الذي ما زال يفوح بسيرته (ص) وغرسه الذي ما زالت جذوره ممتدة حتى الوقت الحالي، فصنعَ تاريخاً جديداً وفكراً أسرَ الكون.

ويهيّئ التكرار إيقاعية حركية في أسلوبية الشاعر لتغدو

مؤشراً أسلوبياً (أنت أودعتَ...) (أنت أنبتّ....) (أنت رنحت....) وتأكيد صنع حدث عالمي كان له الأثر في تغيير تاريخ بشرية الأمة العربية التي نزل القرآن بلسانها.

ونجد أنَّ الألفاظ التي تشي بالحياة تزخر بها الابيات (الفجر، الضحى، النور، الوجود....) لتنقل المتلقي من حالة الظلام التي كانت مخيمة قبل وجوده(ص) الى حالة روحانية يعيش في أجوائها المتلقي.

الصورة الذهنية

يوجه الذهنُ الحسَّ نحو تفعيل آلياته لتقريب الصورة الى المتلقي وجعلها تبدو قريبة إلى وجدانه ليدغدغ بها أحاسيسه ليتمثل صورة جمالية ترتاح إليها النفس، ولا أجمل من صورة يتمثلها المتلقي من صورة الرسول (ص) فهو هادي البشرية ومرشدهم إلى الخير والصلاح، لذا اتخذ الشاعر من شعره وسيلة لتحقيق " التواصل الجمالي [بينه وبين] المتلقي" [1917]، ويستثير ذهن المتلقي نحو تصور رسالة الرسول (ص) التي بعثت الحياة في أمة كانت ترزخ بالظلم والظلام ليحاول هو بدوره تمثل خطى الرسول (ص) ليحيا من جديد بعد أن أصاب الأمة الخيبة والخذلان والركود لابتعادها عن خطى نبيّها (ص) يقول الشاعر [1918] :

يا نبي الأحرار. مرّت نجاوا كَ.. مع الأمسِ في دروبِ الضياءِ
تبعثُ اليقظةَ الحبيسةَ من أعـــــماقنا.. من مخـــالبِ الظّلماءِ
وتَصُبُّ الحنانَ في الأعينِ الحَيْـــــرى..وتحنو على صريعِ الشّقـاءِ
وتضُمُّ الحياةَ..في وحـدةِ الحـــــبّ..لتطوي نوازعَ البغضـــاءِ
وتثيرُ الدنيا..لتقسِمَ الحقْـــــــدَ..فتجني الثمارَ للأشـــقياءِ
حيثُ لا مُترفٌ..يعيشُ على القِـــــمّةِ في مشرقِ الضّحى الــلألاءِ
وضعيفٌ يعيشُ في السّفحِ عبداً لميولِ الطّغاةِ والأغنيـــــاءِ
وإذا ما ارتمى على وهدةِ الجو عِ..وناءَتْ حياتُهُ بالعنـــــاءِ
لم يجدْ غيرَ كســرةٍ وإناءٍ.. ملأتْهُ الأقذارُ بالأقـــــذاءِ
كلُّ ما ترتجيه..أنْ تتـلاقى في قلوبِ الوَرَى مجاري الهَنـاءِ
ويثيرُ الحياةَ في كلّ عرقٍ من عروقِ الصحراءِ نبعَ سنـاءِ
في اشتراكيةٍ..تُقرّرُ حقَّ الـ فردِ.. في نزعةِ الغنى والثّراءِ
وتَرى..أنَّ في الثراءِ نصيباً من صفايا الأرباحِ للفقــراءِ

[1917] د. أحمد علي محمد : في الشعرية "دراسات نصية في الأدب العربي الحديث"، منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2016: 16. 17.

[1918] السيد محمد حسين فضل الله: قصائد للإسلام والحياة : 70 . 71.

وحقوقاً..لو أنصفَ الناسُ لاهتـــــزّتْ بآفاقنا طُيُوفُ الرّخـــاءِ
ولعِشْنا معاً على الشاطِئ الحُـــــرّ نشاوى.. في موكبِ السعـداءِ

بعد أن سمّى الشاعر الرسول(ص) بـ(رسول الحياة) جعلَ له الآن في أذهاننا صورة حركية تنبض بالحياة والتجدد ألا وهي (يا نبي الأحرار) لأنه ما جاء إلّا ليفكَّ القيد الذي غُلّت به أيدي الناس، إنّه يحرّر أفكارهم من ظلمة الجهل الذي قبعوا تحت ظلّه، إنَّ استدعاء الشاعر للصورة التي حققها المتضايفين (يا نبي الأحرار) ليثير انتباه المتلقي الذي صُدِم جراء انكسار الحاضر وابتعاده عن مسيرة نبيه (ص) فأصابه الوهن والضعف.

مخطط يوضح ابتعاد الأمة الإسلامية عن نهج الرسول(ص)

النبي محمد (ص) المتلقي (مقيد بأغلال)

الحرية انعدام الحرية نتيجة سيطرة الآخر عليه

إنَّ استحضار الأمس وتجسيد صورة الرسول (ص) بصورٍ تفيض بمعانٍ إنسانية أضافت عليها الأفعال حركية وتجدداً في قوله (تبعثُ..، تصبُّ..، تضمُّ..، لتطوي..، وتثير...، لتقسمَ..، فتجني..) يفيد استمراريتها في الوقت الحاضر، فهو (ص) منقذ للبشرية في حضوره وغيابه، فمثلما أنقذ أمته فيما مضى وحقَّق العدل والسلام وحررهم من عبودية الطغاة والظالمين، فها هو مشرقٌ تتجدد ذكراه في ذهن المسلمين يحنو عليهم ويدعوهم إلى النهضة من جديد، بعدما أصابتهم الويلات والتشتت وهجم عليهم من لا يرحمهم من الأعداء، فالشاعر باستيحائه صورة الرسول (ص) الذي أضفى عليه كل المعاني والقيم السمحاء أراد أن يقدمه نموذجاً وقدوةً الى المتلقي ليبعث فيه الهمم العالية للتخلص من الواقع المزري.

إنَّ الصورة التي رسمها الشاعر تثير في ذهن المتلقي صوراً إيحائية عن رسول الله (ص) وبهذا "يصبح الطابع الايحائي من أهم خصائص اللغة الأدبية"[1919]،ذ نجد أنَّ الأفعال المرتبطة برسول الله (ص) تبعث، تصب، تحنو، تجني...تتسم بالحياة والبعث من جديد، فما قام به (ص) لا يمكن أن يندثر يستذكره المسلمون في كلّ آنٍ وحين، وبذلك يحرك الشاعر في شعره خيال المتلقي ويستثير في ذهنه صوراً تمدّه بالحياة عبر تمثل معاني الحق والخير والعدالة وكلّ ما جاء به النبي الكريم وبشّر به في رسالته السماوية.

الثنائيات الضدية :

ومن خلال استقرائنا لقصائد الشاعر وجدناه يكثر من أسلوب الثنائيات الضدية، ليشكّل منها صورة فريدة من نوعها، وتهيئ ذهن المتلقي نحو تفهم أبعاد النص الشعري وتمثل دلالاته واضحة، فمعجم الشاعر غني بألفاظ الطبيعة التي تجعلنا نقرّر حقيقة أنه من الشعراء الرومانسيين الذين يغلب على معجمهم الشعري ألفاظ الطبيعة الحية، ويجعل المتلقي يحلق بجناحين مرفرفين وتمثل صورتين واحدة منهما للماضي الذي أبدع خلقه رسول الله (ص) والآخرى تنتمي الى الحاضر الذي يعيش بين أحضانه المتلقي، مما يجعله في حالة صدمة تثير نفسه ووجدانه الى المآل الذي وصلوا إليه، وتركوا تعاليم دينهم الحنيف وابتعدوا عن نهج رسولهم (ص)، يقول الشاعر مستوحياً الفكر التحرري لرسول الله (ص)[1920] :

مُدني.. بالحياةِ..تُبدعُ ميــلا دَك.. فجراً مُعطَّرَ الأجـواءِ
يستحثُّ الضبابَ..في وهجِ الشمْـــسِ..ليذروهُ في دروبِ الفناء
ويثيرُ الرمالَ.. في لهفة الصحـــراءِ..نحوَ انتفاضةٍ هوجـــاءِ

[1919] د.تاوريريت بشير : مستويات وآليات التحليل الأسلوبي للنص الشعري، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، دامعة محمد خيضر. بسكرة (الجزائر)، ع5 : 6.

[1920] السيد محمد حسين فضل الله، قصائد للإسلام والحياة : 68.

ويُحيلُ الأرضَ الجديبةَ حقلاً.. من طيوفٍ..وموجةً من رخاءِ
ويشُدُّ القوى..فيلتهبُ الدرْ بُ..وتضرى قوافلُ البؤساءِ
خطوةً خُطوةً..وأنت تقودُ الـــــركبَ للنورِ..للأماني الوِضاءِ
وعلى مفرقِ الطريقِ..عوى البغْـــيُ.. بأعراقِ أمةٍ عميـــاءِ
يستثيرُ الظلامَ والحقدَ.. والـ شّرَّ.. ليطوي بها لهيبَ النداءِ
غيرَ..أنَّ النداءَ.. مازال رعّا داً.. ومازال صارخاً بالدعاءِ
"أيها الجاهلونَ..عودوا إلى النو رِ..فهذي طلائعُ الأضـــواءِ
حرِّروا رأيكم..يُحرِّركم الإســـــلام.. من جاهليةٍ جوفـــاءِ

ونجد أنَّ الشاعر كثيراً ما تتكرر عنده هذه الكلمة (الحياة) وترتبط هذه الكلمة بايحاءاتها ودلالاتها بالرسول (ص) فما أن تُذكر حتى نتخيل انبثاق الحياة من ظلمة كانت تسود، فكلمة "الحياة " واسعة سعة الحياة الانسانية بما تحتويه هذه الكلمة من دلالة مادية ودلالة معنوية، فما هو واضح من هذه الابيات هو أنَّ الشاعر يخاطب رسول الله (ص) أن يمده بالحياة، فما هو قصده من دلالة الحياة هنا؟

إنَّ الرسول (ص) طاقة مولدة للنور، فمن شأن الشاعر بوصفه عالم دين لا يرغب في أن تمر ذكرى ميلاد رسول الله (ص) دون أن تكون ذكرى معطرة بأجواء الحياة، فهو (ص) يتوهج نوراً في حياته وبعد مماته، فما زال يتوقد نوره للناس هدى وفكراً ومعرفة، وهو عطاء لا ينضب لأمة المسلمين، إذ تثير هذه الأبيات جملة من التضادات الثنائية التي توحي بالحركة والتجدد منها : أنه (ص) نور في وجه الظلام، وتشتبك الصورة في البيت الثالث نحو إثارة صورة تضجُّ بالثورة تبدأ من صحراء العرب بعد أن كانت تعاني من الركود والجمود، وفي البيت الرابع توحي صورة البيت التمثيلية أنه (ص) يزرع الحياة بعد أن كانت تعاني من الموت، وشيئاً فشيئاً فمن الضعف والظلام والبعد عن الحقيقة الى شدِّ العزيمة والقوة والوصول بهم الى نور الهداية والحق.

مخطط يوضح ابتعاد الأمة الإسلامية عن نهج الرسول محمد(ص)

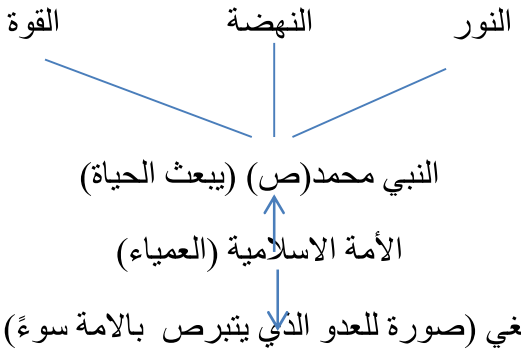

ويأخذ الشاعر دوره هنا بوصفه داعية اسلامي يمارس عبر شعره وظائف متعددة منها : الناقد، الداعية، شاعر بوصف الشعر رسالة أدبية تستثير وجدان المتلقي وتلهب فيه الرؤية الصادقة.

إنَّ النص الشعري يحتفل بانزياحات متعددة شكلتها الصور البيانية المتمثلة في (يستحثُّ الضباب... ليذروه في دروب الفناء)، (ويثير الرمال.....)،(ويحيل الأرض الجديبة حقلاً.....)،(ويشدّ القوى..فيلتهب الدرب.....)،(خطوة خطوة...وأنت تقود الركب للنور...) قد حققت إضافة جديدة عبر بنية اسلوبية خلقت صورة كلية اندمجت فيها الذات بالموضوع، وألهمت المتلقي نحو تمثل

(الحياة) التي يريدها (ص) لأمته، فـ (الحياة) تومئ"للألفاظ أن تقول معاني جديدة، و[ت] بث في روحها دلالة مختلفة"[1921] فهو (ص) فكر نيّر يزيح الظلام والهوان ليبعث في أمته الحياة من جديد.

الصورة الرمزية :

يستحث الشاعر في قصائده أسلوباً يمتاز بالايحاء ذلك أنَّ قيمة الشعر " تكمن في قدرته على الإيحاء بما كابده الشاعر من انفعالات"[1922]، والرمزية بما هي من نظرية معروفة في النقد الحديث وتجلياتها تجسدت في العديد من قصائد الشعراء قصدوا بها تحقيق الأثر الجمالي في المتلقي بقصد إحداث هزة نفسية لديه، والتأثير في وجدانه حتى يتحقق الأثر المطلوب الذي يقصده الشاعر، وعلى الرغم من مجيء لغة الشاعر بأسلوب واضح يخترق فيه وجدان المتلقي، فإنَّنا نجد أنه يتخذ من بعض الشخصيات الرسالية رمزاً بقصد إحداث التأثير في المتلقي، ولا يتوانى عن استحضار الماضي بقصد المقارنة بينه وبين الحاضر.

وفي القصائد موضوع الدراسة نجد أنَّ الشاعر يكثر من استخدام أسلوب النداء "يارسول الحياة"، "يارسول الاحرار"،"يارسول السلام" التي تمثل مؤشراً أسلوبياً يهدف من خلاله توليد دلالات متعددة واستحضاره ليكون ماثلاً حياً بما يحمله من فكر خالد أمام المتلقي بقصد إحداث التأثير فيه، فالرسول (ص) بُعِثَ ليدلَّ الناس على معنى الحياة الحرة التي تنشد السلام، كما أنه يقصد من وراء ذلك بعث الحاضر الميت ونشدان النهضة في الأمة من جديد، يقول الشاعر[1923] :

يارسولَ الخُلق العظيم.. هنا نحـــنُ التفاتٌ إلى الذرى وانفتـاحُ
أنت كلُّ الذرى التي تحملُ الشمْـــسَ فيزهو في جانحيها الصباح
وهنا نحنُ في السفوح بقايا من فلولٍ تلهو بها الأشبـــاحُ
من ظلامِ العصورِ حيثُ استراح الـــجهلُ للحكم وهو ظلمٌ صـراحُ

يحمل لنا أسلوب النداء صورة استدعائية فيها رمزية بما تجسده شخصية رسول الله (ص) من خلق وعدل وحكمة وإشراقة نورٍ على الانسانية، وقد هيَّأ الاسلوب بما فيه من مقارنة في البيت الثاني والثالث بخلق صورة بيانية عكست وجه النبي (ص) الذي أشرق بنور الاسلام، والوجه الآخر يمثله المسلمون الذين ابتعدوا عن نهجه (ص) فساد الجهل والظلام، ولم تعرف كيف تغير تاريخها.

مخطط توضيحي لابتعاد الأمة عن نهج نبيها محمد(ص)

تضيء درب الإنسانية (أنت كل الذرى التي تحمل الشمس....)

↕ بؤرة

الرسول(ص)

↓ (عدم اتضاح الرؤية أو تخلخل وصول الرسالة)

المسلمون تائهون تعبث بهم أشباح الظلام(وهنا نحن في السفوح بقايا...).

[1921] د. رحمن غركان، أسلوبية البيان العربي"من أفق القواعد المعيارية الى آفاق النص الابداعي"،، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2008: 75.

[1922] د. سارة نجر ساير العتيبي :الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث،، مقال منشور في شبكة المعلومات.

[1923] السيد محمد حسين فضل الله : يا ظلال الاسلام، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1420هـ. 2000م : 179.

الصورة الحقيقية (الروحية)

لا يغادر الشعر الخيال، إذ تهيمن على أجوائه روح الحقيقة ولكن هذه الحقيقة لم تكن لتجعل منه يتصف بصفة التقريرية مالم ينحدر أسلوب الشاعر عن تمثل ما يريد توصيله إلى المتلقي، فيبتعد عن التأثير ليبدو باهتاً خالياً من الجمال.

وقد زاوج الشاعر محمد حسين فضل الله بين الخيال والفضاء الروحي ليعلو بشعره في السماء العليا، وفي الوقت نفسه يجعل المتلقي يسبح في ذلك الفضاء الرحب ويتمثل جمالياته، ولا أجمل من تكوين صورة عن الجمال الروحي القابع في الذات، وذات ونفس رسول الله (ص) بأبهى رؤاها عبر عنها الشاعر حين صوَّر الصفات المعنوية متجسدة فيه (ص) في قوله[1924] :

يا رسولَ السلام ينبضُ بالروحِ حياةً ورحمةً وجمـــالا
أنت أطلقته لينعمَ فيه الكونُ لُطفاً ونعمةً وظـــــلالا
من جلالِ الوحي العظيمِ، من الوحي السماوي دعوةً وابتهالا
من هداك السمح الطهورِ يضمُّ الحبَّ والخيرَ روعةً وجـلالا

لو أمعنا النظر في الصفات التي يضفيها الشاعر على الرسول (ص) لوجدنا أنَّها تسبحُ في كونٍ رهيب، ويتكرر النداء على أسماعنا ولكنها الآن بنغمةٍ أخرى وبموسيقى تصويرية هادئة شكلتها لفظة "السلام"، فمن رسول السلام تنبثق الحياة وتنبض بالرحمة والجمال، ويستمر الشاعر في إضفاء المعاني الروحية التي نشرها رسول الله (ص) على البشرية، ليشاركه المتلقي في الاستمتاع بهذه الصور الحقيقية التي تنعم فيها الروح بالاطمئنان، فقد أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين يقول تبارك وتعالى في كتابه الكريم : " وما أرسلناك إلّا رحمةً للعالمين"[1925]

وفي موضعٍ آخر يقول الشاعر[1926]:

أنتَ روحُ السّلام..أيُّ سلامٍ لمْ يَفِضْ وحيُهُ من الينبــوعِ
مِنْ ربيعِ المشاعرِ البيضِ، في رو حِ النبوات، من جمال الربيـع
من صفاءِ الأعماقِ في هدهداتِ الـ حُبِّ، من يقظة الضميرِ المريعِ
من نجاوى الروحِ التي تتلاقى في تسابيحها نجاوى الجمـوعِ

ينطلق أسلوب الشاعر في صيغة توكيدية أعمق ليكرّر على مسامعنا ومسامع الآخر اِنطلاق مبادئ الإسلام من شخص رسول الله (ص)، إذ يتوجه الشاعر إلى نقطة أعمق مما أشار إليه في الأبيات الأولى فيقول " أنت روحُ السلام" وكأنه يوجه كلامه الى مَنْ يحاول النيل منْ رسول الله (ص) فيوجه شعره بقوله[1927] :

بل هو القوةُ التي تزرعُ الأر ضَ حروبًا وتلتظي نيرانـا

****

حربُكَ السِّلمُ..أيَّ سلمٍ يريدو ن.. أيزهو السلامُ للأقوياءِ

فمن "يارسول السلام" التي حققت من خلال المتضايفين معنى جديد بصورة حقيقية فيها معاني الرحمة والجمال والحب للانسانية الى "أنت روح السلام" لترسخ في أذهاننا المعاني الروحية التي جاء بها الدين الاسلامي متمثلة بشخص الرسول (ص).

[1924] السيد محمد حسين فضل الله : يا ظلال الإسلام : 169.

[1925] سورة الأنبياء : الآية 107.

[1926] السيد محمد حسين فضل الله :يا ظلال الإسلام : 169.

[1927] السيد محمد حسين فضل الله: يا ظلال الإسلام : 172.

ويلعب التكرار دوره في رسم صورة تعمّق من المعنى الذي قصده الشاعر، فمن تكرار كلمة السلام الى تكرار حرف الجر "من" الذي أفاد ابتداء الغاية والانطلاق من صورة روحية تشعُّ جمالاً وبهجةً وتألقاً لترفع من الصورة الشعرية لتحمل سمة القدسية لتفيض بالحق والخير والجمال.

والذات بصفائها الروحي ترتدي رداء المشاعر البيض "من ربيع المشاعر البيض"، فرسول الله (ص) ينتمي إلى ذلك الينبوع الثر الذي يشكل وحياً يغرف منه المتلقي روح الاخلاق والصفاء الروحي.

مخطط يوضح صورة النبوة وانعكاساتها على الذات الجمعية

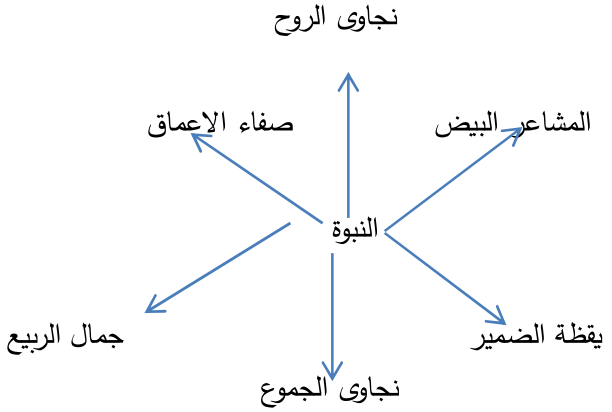

إنَّ اختلاف تأثير الذات مرده الى اختلاف تأثير الاذواق بالنسبة إلى "الذات المتلقية المتأثرة"[1928]، بالصورة الشعرية المستمدة مضامينها من ينبوعٍ يتدفق رؤى وجمالاً أخذ القلوب بهيبتها.

وهكذا تبقى للصورة تشكيلتها الفردية النادرة التي تنبع من قدرة الشاعر على إثارة الوجدان قبل الحس عند المتلقي، كونه يمس صميم الروح والاحاسيس، ولا شك في أنَّ الشاعر يستعين بثقافته ووحيه الذي يؤسس للصورة ومصادر تشكيلها تنبع من الطبيعة أو الواقع الحسي فضلاً عن استلهام الرمز لشخصيات عظيمة لها وقع وأثر في المتلقي، ولا ننسى الصورة البيانية التي أثرت النص فأصبح " بنية مثخنة بالدلالات الإيحائية وبالبث التعبيري"[1929]، فضلاً عن انتساق الجمل والعبارت وانتظامها بشكل مؤثر.

وتغلب على صور الشاعر الحركة التي تضجُّ بالحياة وهي " حركة حية مما تنبض به الحياة الظاهر للعيان، أو الحياة المضمرة في الوجدان"[1930]، فيقول الشاعر مصوّراً هذه الحياة[1931] :

هو سلمُ الحياةِ تحملُ في كـــــ فِّ الرسالات خُضرةَ الزيتونِ
وتُمدُّ اليدَ القويةَ بالقوَّ ةِ تجتاحُ كلَّ حقدٍ دفيـــنِ
في جهادٍ : كلّ انطلاقتهِ الحمْـــراءِ... أن تختفي رياحُ الجنونِ
وتسيرُ الحياةُ في دربها الرحْـــبِ إلى شاطئ السلامِ الأمينِ

إنَّ الشاعر بصدد الدفاع عن رسالة الاسلام التي يجسدها رسول الله (ص) الذي ما فتأت قوى الظلام تحارب دينه لتهوي به وتصمه بأوصاف بعيدة عن روحه ومنها (الارهاب)، وتندفع حمية الشاعر بكل قوة وتنساب بكل رقة وشفافية تعضدها قوة في وقع كلماته المجلجلة ليقول مستخدماً الجملة الاسمية التي تدل على الثبات " هو سلمُ الحياةِ " فالسلم الذي يحمله الرسول (ص) هو الحياة بكل معانيها ودلالاتها الحية المتحركة تليها قوة صوَّرها الشاعر في قوله " كفِّ الرسالات" ليحيل إلى الحياة الدائمة المتجددة لأنها تحمل

[1928] د. عز الدين اسماعيل :الأسس الجمالية في النقد العربي" عرض وتفسير ومقارنة"،، دار الفكر العربي، ط3، 1974 : 84.

[1929] رحمن غركان:أسلوبية البيان العربي : 194

[1930] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، مصر، (د ط)، 1956 : 63.

[1931] السيد محمد حسين فضل الله: ياظلال الاسلام : 173.

في كفها حياة لا تزول صورها الشاعر بـ (خضرة الزيتون)، ثم يشير الى القوة التي يمتاز بها المسلمون بقيادته (ص) فهي لا تبقي ولا تذر وجهادهم في سبيل الله اصطبغ بصبغة حمراء لأجل وقف سيل الحقد الدفين والغضب المتسرب من قلوبهم التي عبّر عنها بقوله " رياح الجنون "، ومن حيث ابتدأ رسول الله (ص) بالسلم انتهى به فرسالته السلام ودينه الاسلام.

الخاتمة :

تبوأت الصورة الشعرية مكانة مهمة في العصر الحديث وترجع أهميتها إلى ما تحدثه من هزة في نفس المتلقي كونها توحي ولها شرارة تقدحها زناد الكلمات، وتلعب الصورة البيانية بما تحمله من مثيرات حسية وذهنية في تفعيل عنصر التخييل وتحريك المتلقي نحو الاستجابة وإثارة هزة عنيفة في داخله ليدفعه نحو تغيير الواقع، وقد صوَّر العديد من الشعراء قديماً وحديثاً رسول الله (ص) في أشعارهم، وما يميز شاعر عن شاعرٍ آخر هو أسلوبه وقدرته على مداعبة وجدان المتلقي ليدفعه نحو الاندماج بالموضوع، وقد تميز شعر السيد محمد حسين فضل الله بفنية عالية وقدرة تصويرية مدهشة تعضدها فكرة تمتح من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتتجلى قدرته أيضاً نحو رفع المتلقي والسمو به نحو الفضاء الروحي، وحين يتناول شخصية عظيمة كشخصية رسول الله (ص) نحسّ أنه في مقام صلاة روحية يستدعيه فيها ويرتل في حضرة ذكرى مولده مآثره وما قدمه للبشرية حين نقلهم من الظلام الى النور من ظلام الجهل والتخلف الى نور الاسلام والحقيقة، ونلخص نتائج البحث بما يأتي :

- إنَّ الصور الحسية مفعمة بالحياة والحركة الناجمة من استعمال الافعال التي شكلت بصيغتها الشعرية وتناسقها دلالات غنية، فيستعمل الشاعر أسلوب التشخيص للإشارة إلى الحياة التي ولدها رسول الله (ص) في الكون، فهو نور يضيء درب السالكين الى الله.
- أثارت الصور الذهنية خيال المتلقي عبر تصور ما أنجزه رسول الله (ص) من انجازات غيرت تاريخ المسلمين وحررتهم من عبودية الجهل والتخلف فضلاً عن مقارنة الماضي بحاضر المسلمين الآن الملئ بانتكاسات تثير صدمة المتلقي ليعيد النظر وليجعل رسول الله (ص) قدوة وأنموذجاً يحتذى لخلق التغيير.
- لعبت الثنائيات الضدية دوراً في خلق صور ذات دلالات غنية بالايحاء والتأثير، فهو (ص) يتوهج نوراً في حياته وبعد مماته، فما زال يتوقد نوره للناس هدى وفكراً ومعرفة، وهو عطاء لا ينضب لأمة المسلمين.
- يستشعر الشاعر أهمية الرمز كونه يخلق في أذهاننا صورة توحي وتثير الجمال في نفس المتلقي لتحدث تلك الهزة التي تحرك لتغير.
- تنوعت أساليب الشاعر في التعبير التي اتسمت بتناسق الجمل والعبارات، ونلحظ هيمنة أسلوب النداء في "يارسول الحياة"،"يارسول الأحرار"، "يارسول السلام"، وهذا الاستدعاء يحمل مضامين لها معنى عميق في الذات، فهي تراتيل روحية يصليها الشاعر ويصل بها ذهن المتلقي ليحدث في نفسه الأثر المطلوب.
- زاوج الشاعر بين الخيال والحقيقة ليخلق صورة جمالية روحية تنبض بمعاني الحق والخير

المصادر والمراجع :

1- القرآن الكريم.

2- د. أحمد علي محمد : في الشعرية "دراسات نصية في الأدب العربي الحديث"،، منشورات الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2016

3- بشرى موسى صالح الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.

4- د. رحمن غركان، أسلوبية البيان العربي"من أفق القواعد المعيارية الى آفاق النص الابداعي"،، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 2008.

5- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن،دار المعارف، مصر، (دط)، 1956.
6- السيد محمد حسين فضل الله: قصائد للإسلام والحياة، دار الملاك، بيروت، ط2، 1421هـ . 2001.
7- السيد محمد حسين فضل الله، يا ظلال الاسلام،، دار الملاك للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1420هـ . 2000م.
8- د. عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي" عرض وتفسير ومقارنة"،، دار الفكر العربي، ط3، 1974.
9- **الرسائل والأطاريح :**
10- الصورة الحسية في شعر " عيسى لحيح "، أحلام زكري، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2016.
11- **الدوريات والمجلات :**
12- ابتسام دهينة، الصورة الشعرية من التشكيل الجمالي الى جماليات التخييل، مجلة كلية الاداب واللغات، ع11.10، جامعة محمد خيضربسكرة، 2010.
13- د.تاوريريت بشير، مستويات وآليات التحليل الأسلوبي للنص الشعري، ع5، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، دامعة محمد خيضر. بسكرة (الجزائر).
14- **المقالات المنشورة في شبكة الانترنت :**
15- د. سارة نجر ساير العتيبي: الرمزية وتجلياتها في الشعر العربي الحديث،